ابن خَلّكان بعد ذلك أن الأديب المُحَدِّث الأندلسيَّ ، أبا الخطاب عُمر بن الحسن المعروف بابن دِحْيَة الكَلْبي (ت ٦٣٣) ، قَدِمَ على الأمير كُوكبوري بإرْبِل في سنة ٦٠٤ ، ولما رآه مولعاً بالاحتفال بالمولد النَّبويّ ألّف له كتاب « التَّنْوير في مَوْلِد السِّراج المُنير » وقرأه عليه بنفسه . ولعلَّ هذا هو أوّل كتاب في هذا النَّوع من التَّآليف الذي توالَت بعده كتب « الموالد » . وظلَّ الملك المظَفَّر يقرأ كتاب ابن دِحْيَة في مشهدٍ حافل في أيّام المولد من كلِّ سنة ، حتى إن ابن خَلّكان يقول إنه سمعه منه في ستة مجالس سنة ٦٢٥ .[١]

وهكذا يمكن أن نقول إن الفضل الأكبر في الاحتفال بالمولد النَّبويِّ على هذا النَّحو الرَّسميِّ والشَّعبيِّ ، وإشاعةِ هذا الاحتفال في العالم الإسلاميِّ ببلاد المشرق ؛ هو هذا الأميرُ الذي عاش في النِّصف الثاني من القرن السّادس والثُّلث الأوّل من القرن السّابع (عاش بين سنتي ٥٤٩ و ٦٣٠) .

وكان ذلك منطَلَقاً لحركة شعريَّة واسعة النِّطاق ، موضوعُها تلك المدائح النَّبويَّة مما كان يُنْشد بمناسبة هذه الاحتفالات ، التي أصبحت منذ ذلك الوقت تقليداً ثابتاً في جميع بلاد المشرق في العراق والشّام ومصرَ ، حتى إننا نرى دواوينَ كاملةً تُفْرَد لهذا الموضوع ، وشعراءَ كادوا يتخصَّصون فيه .

وربما كان من أوّل هؤلاء الشُّعراء جمال الدين يحيى بن يوسُف الأنصاري، المعروفُ بالصَّرْصَرِيّ (نسبةً إلى صَرْصَرَ ، وهي قرية قرب بغداد) الذي وُلد سنة ٥٨٨ ، واستشهد عندما اقتحم مغول هولاكو بغداد وأطاحوا بالخلافة العبّاسيَّة سنة ٦٥٦ . ويقول عنه ابن شاكر الكُتُبِيّ : « إنه صاحب المدائح النَّبويَّة السّائرة في الآفاق ، لا أعلم شاعراً أكثرَ من مدائح النبيِّ ﷺ أشعرَ منه ، وشعره طبقة عالية .»[٢] ثم يَقْتَطف من مدائحه النَّبويَّة قدراً موفوراً ، منها قوله :

---

(١) وَفَيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ، و ج ٣ ، ص ٤٤٨–٤٥٠ .

(٢) فوات الوَفَيات ، ج ٤ ، ص ٢٩٨–٣١٩ .